زيتون جريدة أسبوعية تصدر عن شباب ادلب الحر وريفها، السنة الأولى، العدد ٣٨، الخميس ٢١-١١-٢٠١٣
Facebook.com\zaitonmaqazine zaiton.maq@gmail.com

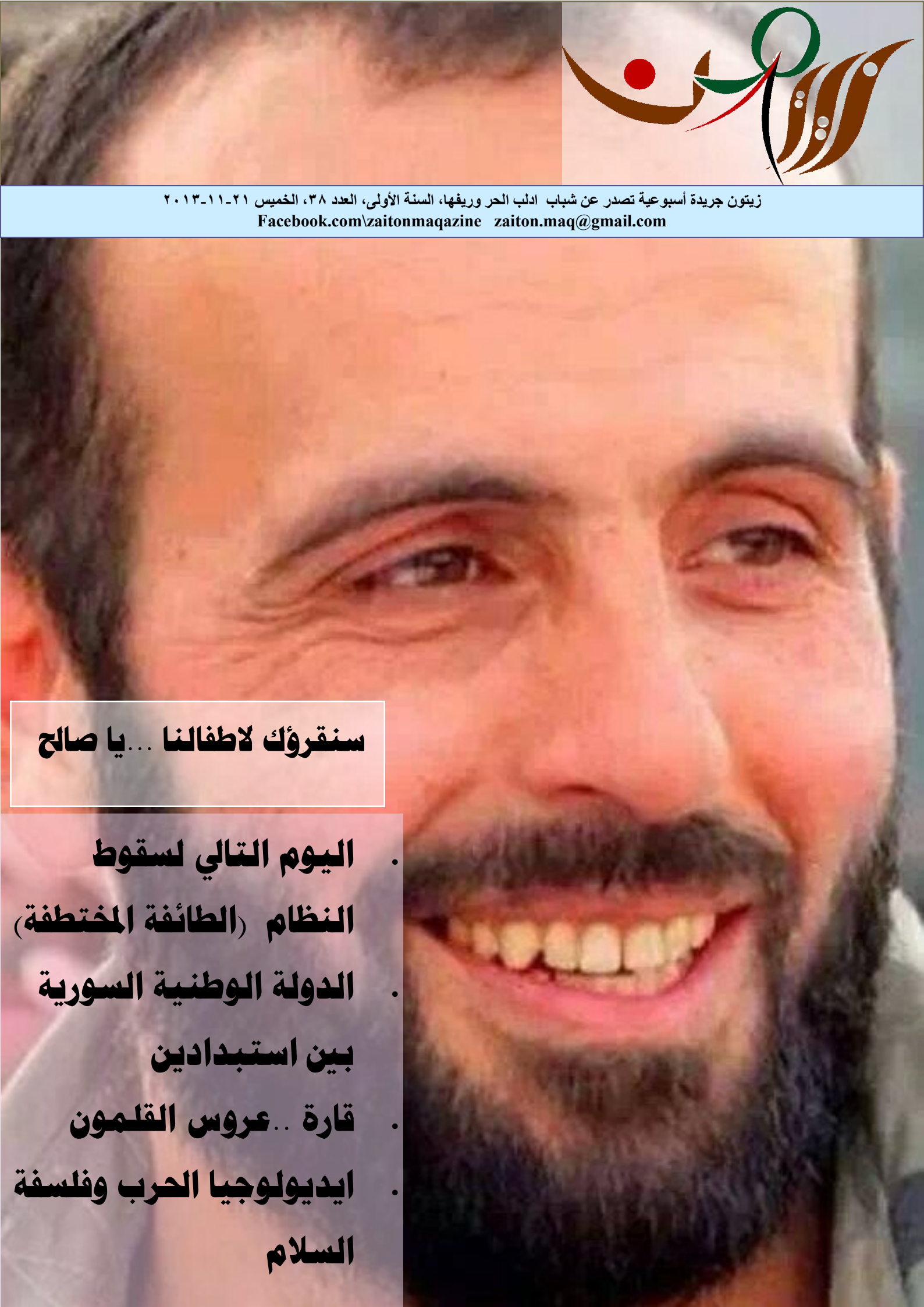

سنقرؤك لاطفالنا ...يا صالح

- اليوم التالي لسقوط النظام (الطائفة المختطفة)
- الدولة الوطنية السورية بين استبدادين
- قارة ..عروس القلمون
- ايديولوجيا الحرب وفلسفة السلام

مجلس الأمن يدين تفجيري بيروت.. ويدعو اللبنانيين الى الامتناع عن التورط في الأزمة السورية

الاخبار المحلية

ادان مجلس الامن الدولي "بشدة" الثلاثاء التفجيرين الانتحاريين اللذين استهدفا السفارة الايرانية في بيروتو داعيا اللبنانيين الى "الامتناع عن اي تورط في الازمة السورية".

ودعا مجلس الامن في بيان له بإجماع اعضائه الخمسة عشر"كل الاطراف اللبنانيين الى الحفاظ على الوحدة الوطنية في مواجهة محاولات زعزعة استقرار البلاد، والى "الامتناع عن اي تورط في الازمة السورية"، مذكرا بـ "المبدأ الاساسي القائم على عدم انتهاك المقار الدبلوماسية والقنصلية وواجب حكومات الدول المضيفة باتخاذ كل التدابير الضرورية لحماية هذه المقار والطواقم الدبلوماسية من اي تسلل او هجوم".

واستهدف تفجيران انتحاريان السفارة الايرانية في بيروت قبل ظهر الثلاثاء حيث سقط ٢٣ قتيلا ونحو ١٥٠ جريحاو فيما تبنت كتائب عبدالله عزام التابعة للقاعدة التفجيران وهددت باستمرار التفجيرات حتى يقوم حزب الله بسحب مقاتليه من سورية.

وسبق أن سقط عشرات القتلى والجرحى جراء انفجار بسيارة مفخخة وقع شهر اب الماضي في طريق بئر العبد– الرويس في الضاحية الجنوبية، كما شهدت الضاحية في ٩ تموز الماضي انفجارا وقع في مرآب للسيارات قرب مركز التعاون الإسلامي للتسوق في بئر العبد بالضاحية الجنوبية أسفر عن وقوع إصابات واحتراق عدد من السيارات.

النبك ..دير عطية ...قارة

#القلمون #النبك #دير عطية-ملخص للاحداث منذ الصباح: حتى اللحظة..قطع للاسترداد بشكل كامل من قبل ابطال الجيش الحر والاشتباكات مستمرة منذ الصباح الباكر حتى اللحظة بكافة انواع الاسلحة..ضرب دبابتين وعدة سيارات لجيش النظام وقتلى النظام بالعشرات...الحركة معدومة بين النبك ودير عطية حتى قارة... الكتائب المشاركة في العلمية كافة تشكيلات الجيش الحر في القلمون قصف هو الاعنف على مدينة النبك ودير عطية...امطار المدينتين بالقذائف والاكثر النبك..... تكتيك ناجح للجيش الحر بتحويل ساحة المعركة من مدينة قارة الى الاتوسترداد الدولي وضرب قوات النظام من الخلف وقطع الاتوسترداد نهائيا استمرار انقطاع التيار الكهربائي على المدينتين حتى اللحظة...افراغ جامعة دير عطية من الطلاب نهائيا لتساقط القذائف من تلة تمثال حافظ على محيطها استشهاد المجاهد احمد عماد حموش من النبك وايضا شاهيناز الحكيم وابنتها رند زبدية الوضع الانساني سيئ جدا في دير عطية..الجرحى بالعشرات من المدنيين ولا امكانية ابدا للوصول لمشفى دير عطية الحكومي نتيجة الاشتباكات ولا يوجد في دير عطية مشافي ميدانية اطلاقا لانها مدينة كانت تحت سيطرة النظام

تدمير الأسلحة الكيماوية على متن سفينة

أفادت وكالة رويترز، يوم الأربعاء، نقلاً عن مصادر مطلعة على المناقشات الجارية في منظمة حظر الأسلحة الكيماوية، قولها أن" الأسلحة الكيماوية السورية قد يتم التعامل معها وتدميرها في عرض البحر".

ونقلت الوكالة عن المصدر الذي وصفته بالمسؤول، أن" الشيء الوحيد المعروف في الوقت الراهن هو أن ذلك يمكن تنفيذه فنيا"، مشيراً الى انه "لم يتم اتخاذ قرار بعد".

وأعلنت منظمة حظر السلاح الكيميائي، يوم الثلاثاء، أنها ستضع بحلول ١٧ كانون الأول المقبل خطة لتدمير السلاح الكيميائي السوري خارج البلاد، وفيما اعلنت البانيا قبل ايام على رفضها تدمير السلاح الكيماوي السوري على اراضيها.

بدوره، قال مسؤول أمريكي لرويترز "تجري مناقشات بشأن تدميرها الأسلحة الكيماوية على متن سفينة."

وأعلنت عدة دول منها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وروسيا عن استعدادها لتقديم المساعدة لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية في مهمتها لتدمير مخزون الكيماوي السوري.

من جهته، أكد رالف تراب المتخصص المستقل في نزع الأسلحة الكيماوية" لا بد أن يظهر خيار تفكيك الأسلحة الكيماوية في البحر عند نقطة ما في ظل الأوضاع المحيطة، "مضيفاً " فنيا يمكن إجراء ذلك، وفي الواقع تم إجراء ذلك سابقا على نطاق ضيق."

ودمرت اليابان مئات القنابل الكيماوية في منشأة بحرية قبل عدة سنوات، لافتاً تراب إلى إن إقامة منشأة لتفكيك الأسلحة على متن منصة عائمة ربما لا يختلف كثيرا عن تدمير الولايات المتحدة لمعظم ترسانتها الكيماوية في المحيط الهادي في حقبة التسعينات.

واشار تراب إلى أن "مخزون سوريا يتطلب معالجة أكثر تعقيدا من قنابل الحرب العالمية الثانية التي عثرت عليها اليابان في قاع البحر والتي استخرجت ودمرت قبالة ميناء كاندا في الفترة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٦."

وكانت الحكومة السورية سلمت في أواخر شهر تشرين الأول الماضي المنظمة خطة لتدمير ترسانتها الكيميائية، لإجراء دراسة وتعديلات محتملة عليها.

وأعلنت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية، يوم الجمعة، أنها تبنت خطة لنزع الترسانة الكيماوية في سوريا بحلول منتصف ٢٠١٤،والتي تنص على إتلاف المواد الكيميائية الأكثر خطورة قبل ٣١ آذار المقبل، وبقية المواد الكيميائية قبل ٣٠ حزيران المقبل، ومن المقرر أن يتم نقل المواد الكيميائية إلى خارج سوريا في موعد لا يتعدى ٥ من شهر شباط المقبل.

اليوم التالي لسقوط النظام:

العلويّون .. الطائفة المختطَفة

بقلم: حسن الوزّان

عندما يُستهدف السنّة في سوريا، نصبح كلّنا سنّة"
الشيخ صالح العلي

(بدنا نبيد العلويّة) .. كان المتظاهرون يرددونها بحماس بعد أكثر من عامٍ و نصف على اندلاع الثورة، بعد أكثر من عامٍ و نصف من استهجان شعارات مختلقة مثل (العلوية ع التابوت و المسيحية ع بيروت)، و كان "جعفر" - الناشط في حب بلده و ثورته و المنتمي إلى هؤلاء المنادى بإبادتهم - بين أصحابه و أهل مدينته في تلك المظاهرة، أشار لرفيقه أن يرفعه على الأكتاف، و بعد أن هتف في الجمع الذي عرفه بضعة شعارات قال بثبات: (حيّوا العلويّة) و كان أن ردّد الجميع خلفه بذات الحماس (حييّنا) !

لا يمكن فهم هذه الحادثة و سواها من أحداث و مشاعر تتقاسم الرأي العام السوري ما لم نضع في بالنا و باستمرار مسألة "الوعي الجمعي" و كونه في الحقيقة يتشكّل على مدى طويل ضمن اللاوعي الجماعي و يرتبط بصور حسيّة موجودة في هذا اللاوعي. الجماهير التي تريد إبادة العلويّين تعميماً تستذكر صور شهدائها، ضحاياها، بيوتها المهدّمة، كرامتها الممتهنة، و تستذكر أن الفاعل (يظهر) منتمياً إلى هذه الطائفة دون سواها، و يصبح هذا الفاعل من قمة هرم السلطة إلى كافة أذرعها الأمنية مختصِراً للطائفة بأسرها، فلا نساء فيها و لا أطفال و لا شيوخ و لا أصدقاء و جيران و لا أحباب و أصحاب و لا حتى معارضين للظلم و شركاء في الثورة ! عندما رأت هذه الجماهير "جعفر" و هي تعرفه بما قدّم لأجلهم و بما عانى هو أيضاً مثلهم، طغى حضوره على الصورة القاسية، و باتت صورته هي التي تختصر الآن الطائفة كلّها و هي المسيطرة في وجدانهم، فكان أن حيّوها بأسرها و كانوا قبل دقائق يريدون فناءها !

يبدو الكلام السابق عصيّاً على التصديق و المنطق، لكنّ الدارسين لأبسط مبادئ علم نفس الجماهير أو حتى الإعلام يدركون تماماً مدى واقعيته و صحّته، بل إنّ نجاح الوسيلة الإعلاميّة أو حتى القياديّ يُقاس بمدى القدرة على حشد الناس خلف التحريض العاطفي المعروض أكثر بكثير منه خلف التحليل العقلاني الموضوعي! مباشرةً سيجد كلّ فريق من المتصارعين اليوم في الساحة السوريّة ضالته في هذا الكلام للنيل من صدقيّة الآخر و موقفه و ينسى الحقيبة الثقيلة على ظهره بما فيها من اتهامات مماثلة! على كلّ حال، كنتُ قد قلت في أكثر من موضع و مقال إنّ الثورة السورية هي حقّ و استحقاق، قام بها الشعب و لا يزال يدفع ثمنها، و أمّا أنّه لم يبق أحدٌ في الأرض لم يحاول استغلالها أو ركوبها أو الطعن فيها أو إخمادها أو شراءها فتلك قصّةٌ طويلة لها يومها.

كيف تعمّمت في الوعي الجمعي السوري صورة "العلويّ" المنفّرة؟

حسم السوريّون العلويّون أمرهم فيما بينهم عندما انتصر تيار الوحدويين على الاستقلاليين قبيل نهاية الانتداب الفرنسي و أقرّوا البقاء مع باقي إخوتهم في دولة سوريا، و شعروا أنّهم للمرّة الأولى يمكن أن ينالوا حصّتهم من الشراكة الوطنيّة، فكانوا متميّزين خلال تاريخهم الحديث بتمسّكهم بعروبتهم و التوّجهات العلمانية المتنوعة (بعثية، شيوعية، قومية سورية) في أوساطهم المتمدنة خصوصاً، و الحرص على طلب العلم و الترقّي في السياسة و الجيش، ممّا انعكس بظهور تأثيرٍ كبيرٍ لهم في مجمل التاريخ السوري الحديث من جميع النواحي، كحال كلّ "أقلّية" تحاول التعويض عن صغر عددها بالبروز في ما هو متاحٌ لها، خاصة إن كانت تغذّيها قصص المعاناة و الظلم الذي تعرّضت له منذ نشأتها و حتى الأمس القريب. و في الوعي الجمعي للسوريين العلويين و الذي يسكن وجدانهم دون تمييز طبقي أو ثقافي فتجدهُ في فلاحٍ بسيط يؤمن بمشايخه كما في طبيبٍ متنعّم يؤمن بماركس أو سعادة، تجد قصص اضطهاد "الأكثريّة" منذ ما قبل زمن العثمانيين و إلى عهد الإقطاع السنّي الذي لم يكتف باستغلال فقرهم و تهميشهم كما بقية إخوتهم السنّيين فحسب، بل أمعن أيضاً باحتقار اختلافهم الديني و السخرية منه، لتترسّخ المزيد من المرارة و الاقتناع باستمرارية تراث الإبادة المتناقل عبر الأجيال، و حذار من المظلوم إن انقلب يوماً ظالماً!

عندما وصل حافظ الأسد إلى منصب الرئاسة، أسرّ لصديق عمره مصطفى طلاس: الآن و قد حصلنا على السلطة فلن ندع أحداً يأخذها منّا! (من مقابلة على تلفزيون الجديد مع مصطفى طلاس قبل الثورة بأعوامٍ طويلة) كان الاستبداد السياسي و القمع الأمني صفةً أساسية في النظام للاستئثار بالسلطة، و كان لا بد لضمان ثباته من ضمان الولاء بغضّ النظر عن الكفاءة. طبّق الأسد حينها مقولة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عندما جرّد سيفه على رؤوس كبار القوم قائلاً: هذا نسبي، ثم نثر الذهب عليهم مؤكّداً: و هذا حسبي، فكان له منهم السمع و الطاعة. تحالف الأسد مع البرجوازية السنّية في دمشق و حلب خصوصاً و ضمن مصالحها و حصولها على ما تريد من امتيازات، و عمل على حشد علويي المدن في المناصب و دفعهم إلى نيل الشهادات و لو اسمياً، في حين أهمل عن عمد الريف العلوي الذي بقي أبناؤه يعانون الفاقة و الإهمال و قلة الخدمات و الاستثمارات، بالنتيجة كانوا يهجرون قراهم البسيطة إلى إبهار المدن حيث يتمّ "اصطيادهم" ليحظوا بمنصبٍ بسيط في أجهزة المخابرات و الأمن عدا الجيش، مع إطلاق يدٍ غير مشروط ليستفيدوا من مزايا الفساد الذي يتم توريطهم فيه بدعوى الانتساب الطائفي بحيث يصبحون جزءاً منه كما أصبح سواهم من أبناء الوطن أساسيين فيه بالتورط المالي، سكنوا الأحياء العشوائية و حمدوا نعمته على امتلاك سقفٍ في المدينة يتبجحون به أمام أهل ضيعهم. بالإضافة إلى ذلك، حرص حافظ الأسد على إقصاء كل أنواع الزعامات و القيادات السورية، من تصفية سياسيين بما فيهم رفاق الحزب أنفسهم، و تطويع رؤساء العشائر، و حتى تهميش مشايخ العلويين بداعي العلمانية في حين كان يهدف إلى ربط كامل الطائفة بشخصه وحده بحيث تجد نفسها متعلقة بأمره و رهن إشارته.

ساعدت أحداث الثمانينات على إقناع العلويّين أنّ الهدف ليس التخلّص من الحكم الظالم لعموم سوريا و إنّما تصفيتهم خصوصاً، و بما أنّ الجهل و الخوف يشكّلان مزيجاً خطراً يحوّل البارانويا إلى إجرامٍ مستشرٍ باسم الدفاع عن النفس، فقد مضت سنواتٌ طويلة يتم فيها تعميق الهوّة بين العلويين و بقية إخوتهم و بحيث باتت اللهجة الساحليّة كافية لإخافة من يعترض على أيّ تصرّف، بما في ذلك استخدامها تمويهاً من بقية أبناء المحافظات!

صبيحة العاشر من يونيو عام ٢٠٠٠ كان خبر وفاة حافظ الأسد قد تسرّب إليّ متأخراً، انتظرت في صمت حتى ساعة إعلانه عصراً و شاهدت تعابير الصدمة في عيون الناس في دمشق، كان هناك بعض الحزن و الكثير من الخوف من المستقبل المجهول، و الازدحام على أشدّه في مواقف الباصات العائدة إلى حمص و اللاذقية و طرطوس، لقد كان لسان حال العلويين يهدس بأمرٍ واحد: ماذا سيحل بنا الآن؟ هل سينتقم "الآخرون" منّا دون تمييز؟ .. كان ذلك هو النجاح الأخير لحافظ الأسد.

إنّنا نتكلّم إذاً عن عقودٍ طويلة تمّ فيها تصوير العلوي – بما في ذلك على الشاشات المحلية بداعي الكوميديا و الدراما - بصورة القرويّ الحاقد على المدنيّة، بصورة رجل المخابرات المتسلّط الفاسد، بصورة المسؤول الجاهل لأبسط تفاصيل ما يدير، بصورة المتعلّم المزوّر الذي يحمل شهادات اسمية أو مشتراة بعد أن ابتعثه النظام دون استحقاق لنيلها، لتقابل الصورة المتوارثة في أذهان العلويين خاصةٍ البسطاء عن "الآخر" الذي انقلبت به الدنيا من موضع السيد المستبد و يتربّص بهم ليسومهم العذاب أسوأ مما كان.

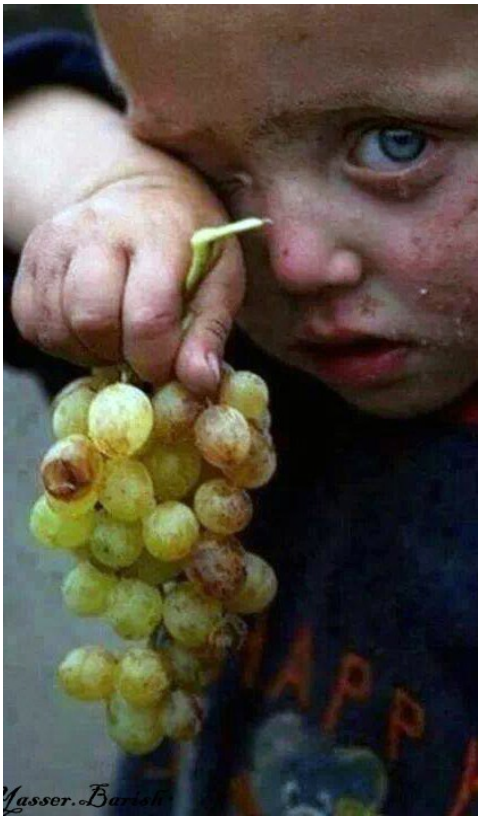

مع بداية الثورة السورية، عمل النظام على حشد كافة "أنصاره" لمواجهة السقوط المحتّم، عمل على إقناع أهل المدن أنّها غضبة ريفٍ حاقد على تقدّمهم، عمل على إقناع طبقة الأغنياء أنّها احتجاجات الرعاع و الفقراء على رخائهم، و عمل بشكلٍ حثيث على إقناع الأقليات الدينية عموماً و العلويين خصوصاً أنّها هجمة إبادة من متطرفين وهّابيين. أبسط الأمثلة استحضار القرضاوي بكثافة بصفته شيخ التحريض الديني في الأسابيع الأولى للثورة قبل أن يخرّ صريع المرض، صار إعلام النظام يبحث عن أي شخصيّة يمكنها ملء الفراغ لتبرير ادعاءاتهم قبل أن يجدوا ضالتهم في شيخٍ مغمور، سيكون صنماً تجسيدياً للفتنة الطائفية – يتم تبنيه بغباءٍ منقطع النظير من قبل العديد في الثورة أيضاً – قبل أن يغيب ذكره مع وصول التطرّف الحقيقي الذي نراه في أيامنا. نذكر أيضاً استغلال الملابسات الغامضة لمقتل نضال جنّود ليتم استخدامها في تبرير كل المجازر و المواجهة العنيفة للمظاهرات السلميّة و شيطنة "الآخر" في ذهن المؤيدين العلويين. كان لا بدّ من استحضار المتطرّف بغية التبرير لخروج التطرّف الذي في دواخلهم.

في منحى آخر، لا يمكن نكران من ركب على ظهر الثورة لغاياته و مصالحه فحسب، سواءً كأفراد طائفيين أو يرغبون في تصفية حساباتٍ شخصية، أو جماعات مدفونة في تاريخٍ طويل من الأحقاد لا يرحم أحداً من المتورطين فيه. كان أولئك الشواذ في قاعدة السلمية، و قد عمل النظام على الإفراج عنهم دون تردد (يمكن للمشككين التأكد من شمل قائد "جيش الإسلام" زهران علّوش مثالاً بالعفو العام سنة ٢٠١١) مقابل اعتقال و تغييب السلميين و قتلهم (يحيى شربجي و غياث مطر و عبد العزيز الخيّر كغيضٍ من فيض).

كشاهدٍ على التطورات، كنتُ أسمع من العلويين خصوصاً عبارات الهلع و التهديد المبطّن بالرعب، كانوا في لا وعيهم متأكدين أنّهم مهما كانوا بعيدين عن النظام سيتوجّب عليهم دفع فاتورة أخطائه، و بالنسبة للكثيرين كان الحلّ أن تقتل قبل أن تُقتل أو "تُهمّش" من جديد، و قلّة رأت – و لا تزال ترى- أنّ العمل على استقلال دويلةٍ شوفينية صغيرة خير ضمانة لتجنّب سفك الدماء. لم يكن من الصعب فحسب إقناعهم بالعكس، بل وقع المعارضون السوريّون الذين ينتمون مذهبياً لهذه الطائفة بين فكيّ كمّاشة: فهم في نظر أبناء مجتمعهم الطائفي ليسوا عدوّاً يمكن فهم عداوته كما البقية، بل خونة بكلّ خطورة الكلمة يستوجب التنكيل بهم أكثر من البقيّة، و يشهد الكثير من المعتقلّين المحرّرين كم كانت نسبة العلويّين في المعتقلات عالية بالمقارنة مع سواهم. و الطرف الثاني من الكمّاشة هم من أبناء الثورة نفسها! إذ يتعرّضون للتشكيك الدائم في ولائهم الوطني و حرصهم على الثورة، و يتم نسب أيّة حركة مخالفة أنّها "ردّة" باتّجاه النظام و الطائفة. لقد باءت محاولات هذه المجموعة للخروج من هذه المصيدة المزدوجة بالفشل، إذ تمّ نبذهم و تناسيهم تماماً في كلا الجبهتين، و لم يتم دعم بياناتهم الضعيفة و تفعيلها لاستعادة هذا الجزء الأصيل من شعبنا.

لقد تعقّد المشهد السوري خلال ثلاثين شهراً بحيث بات من السّهل تخليط الحقائق و الوقائع، و نجح النظام إلى حدٍّ بعيد في كسر قوة الثورة الشعبية بتحويلها إلى حربٍ فاشيّة مماثلة لتلك التي قام بها نازيّو الرايخ الثالث و رجال الغستابو ضد الألمان أنفسهم، فقام بتوريط العلويّين خصوصاً بإظهارهم في فيديوهات التعذيب المسرّبة و بصفتهم المسؤولين عن جماعات "التشبيح" (رغم أنّ النسبة الأكبر من هؤلاء هي من طائفة "الأكثريّة السنيّة" كما يحلو للمتعصّبين مناداتها) و المرتكبين المباشرين للمجازر العديدة المروّعة في حقّ مدنيين عزّل من نساءٍ و أطفال. و بالمقابل تمّ استجلاب كل أشكال التطرّف و التطرّف المضاد، و بتّ تجد الشيشاني يقاتل العراقي و الأفغاني يصارع اللبناني، وحده السوري هو القتيل و المهجّر و الطريد!

لقد دفعنا كشعب، على اختلاف أديانا و مذاهبنا و أعراقنا و توجهاتنا، حصّتنا من المعاناة و الموت. تجد عائلات من يبعث بهم النظام إلى حتفهم السلوان في الإيمان أنّهم قضوا في سبيل الوطن، و يتهامسون في تمجيد هؤلاء الشباب الذين يردّون عنهم مصيراً محتوماً بالفناء.

هل هذه مجرّد بارانويا لا أساس لها من الصحّة؟ ربّما يجب أن نقنع بخطئها كثيراً من بقيّة الشعب قبل أن يقتنع بها العلويّون أنفسهم! ربّما يجب أن يقتنع الجميع أوّلاً أنّ هذا النظام ليس بطائفي أساساً، فلو كان حقّاً معتمداً على طائفةٍ وحيدة لانهار مبكّراً مهما كبرت أو قويت شوكتها، و لو كان همّه مصلحة طائفته و قبيلته لتصرّف بما يجنّبها الويلات الآن و لاحقاً بغض النظر عن بقية الجماعات و وجد مخرجاً مشرّفاً للتنازل عن السلطة، لكنّه ببساطة استخدم الطائفيّة و جميع الطوائف و أوّلهم الطائفة المُختَطفة وقوداً لحربه علينا في سبيل عرشه.

لأجل كلّ ذلك باتت هذه المعركة الوجوديّة أهم بالنسبة للبعض مما هي للنظام نفسه، و هي حربٌ خاسرة في جميع الأحوال إذ حتّى في أكثر السيناريوهات تفاؤلاً بنصرٍ ساحق مستحيل للنظام، سيتم ترحيل الحسابات و المآسي إلى ما بعد ثلاثين عاماً أخرى يدفع فيها أبناء سوريا ثمن جرائم ليسوا مسؤولين عنها. و أما عندما يسقط النظام سواءً بشكلٍ فجائي أو تدريجي، فإنّ الرعب الذي سينتشر سيكون سمّاً قاتلاً في جسد الوطن، و ستكون حالة الانفلات الأمني أفضل حاضن لمجازر متبادلة بين مختلف المجموعات، يمكن أن تنتهي بعد شهور من أنهار الدماء إلى تدخّل قواتٍ أممية للفصل بين مناطق تمّ "تنقيتها" ديموغرافياً لتحقيق تقسيم دولة سوريا إلى دويلاتٍ طائفية و كانتوناتٍ قبليّة، تجعل غورو يضحك في قبره و إسرائيل سيدة المنطقة بصفتها الكيان العنصري الأنقى و الأرقى وسط باحةٍ من الهمج.

على كلّ السوريّين الوطنيين أن يتحرّكوا قُدماً لمنع استمرار السير في هذه المأساة، و لعلّ الجهد الأكبر يقع على عاتق السوريّين العلويّين بصفتهم مستهدَفين رئيسيين فيها، بغضّ النظر عن كوننا مؤيدين أو معارضين، علينا جميعاً أن نفكّر في غد هذا الوطن حتّى لو لم يطلع علينا، لأجل أولادنا و لأجل أن يستمرّ الوطن، و أن تأتي متأخراً خيرٌ من ألّا تأتي أبداً، و لكن أفضل ما يمكن فعله هو البدء في لحظة هدوء بين مجزرتين و بينما لا يزال العلويّون يبدون في موقع القوّة لا موقع المغلوب المنافق.

بالدرجة الأولى لا بد من التوقف عن إرسال المزيد من الشباب إلى الجيش الذي بات منقسماً و يقاتل في غير أرض معركته الحقيقية و ضدّ أبناء بلده، تلك أهمّ إشارة يبعثونها للنظام بوصول درجة التململ لديهم حدّاً لم يعد يطاق، و بالطبع سيكون الردّ عنيفاً، من طينة "غزوة" على ريف الساحل لقواتٍ متطرفة تقوم بسبي النساء و قتل الأطفال و الشيوخ، ينهيها النظام خلال أيام بعد أن تصل رسالته: ليس لكم من حماية دوني و دون إطاعتي.

أفضل ما يمكن القيام به حالياً هو المشاركة بفعالية في حملات الإغاثة ليس للنازحين إلى مناطقهم فحسب، بل التحرّك باتجاه المناطق المنكوبة كما في حمص و المعضمية و على صعيدٍ شعبي معلن ليضربوا عصفورين بحجر: إحراج النظام و عجزه عن منعهم تحت مسميات الإرهابيين و جهاد النكاح، و إعلام بقية إخوتهم في الوطن أنّ الوجع واحد و الهم واحد. يمكنهم أيضاً افتتاح مياتم يتكفّلون فيها بأبناء الضحايا و مدارس ميدانية يكونون فيها الآباء و الأمهات و المعلّمين لأولئك الذين فقدوا عائلاتهم.

كما لا بدّ من التشاور و التدبير مع جهاتٍ عسكرية فاعلة في النظام و المعارضة بهدف التنسيق و التحضير للجان حماية تحمي مناطق تجمعاتهم في لحظة انفلات الغضب عند السقوط المدوّي للنظام، و ربما سيكون من الضرورة إنشاء حواجز مشتركة من كلّ فئات الوطن الغرض منها قبل الحماية رسالة واضحة أنّنا لن نتفرّق، و أنّنا جميعاً سوريّون لن ندع لنزوات الانتقام أن تتمكّن منّا.

إنّ العدالة التي يحققها القانون تكاد تكون الضمانة الوحيدة لتعافي الوطن، و بقدر ما ستكون مرّة لكنّها ستشفي جراحاً عميقة، و لن توفّر أحداً، أولئك الذين في طرف الثورة قبل الذين في طرف النظام. بينما يتم تفعيلها يجب إصدار إعلان عام ينزل العقوبة القصوى بمرتكبي أية أعمال انتقامية خلال الفترة الانتقالية و عدم شملها بالأعذار المخفّفة للجرم مع فقدان مرتكبها لكافة حقوقه. يمكن الاستفادة من تجربة رواندا في إنشاء محاكم محليّة منعاً ليأس الناس من الانتظار في أروقة المحاكم لسنواتٍ طويلة، و التركيز في القصاص على الذين قاموا بجرائم شنيعة فلم يكتفوا بالقتل دفاعاً أو في أرض المعركة، بل تورّطوا بالتعذيب و التنكيل و الاغتصاب. يمكن تفعيل مبدأ الديّة و المصالحة، و الحكم ما أمكن بأحكام مخفّفة لا تتجاوز أحكام سجنٍ طويلة تبقي المُدان على قيد الحياة و أهله على قيد الأمل، و يُستفاد منهم في العمل في المقالع لبناء ما تهدّم من البلد.

و من المهمّ التركيز على دور الإعلام البنّاء بعد كل الهدم الذي ساهم فيه بقوة، إذ يجب إظهار جهود جميع أبناء البلد بمن في ذلك "المتربّص بهم" في مداواة جروحه من نشاطات و أعمال خيرية، و قد ينفع القيام بسهرات سمر يجتمع فيها الضيوف لسرد ذكريات الحياة المشتركة و قصصاً تثير الشجن و الضحك عن الأيام التي جمعتنا و كادت تفرّقنا.

فلنكفّ جميعاً عن اشتراط ضماناتٍ للأقليّات في سوريا الغد، فكلّ المتصارعين اليوم في الساحة ضعفاء لا يملكون أن يضمنوا شيئاً، العهد الوطني يُكتب بالدم و الدمع و بالعمل الصادق، حرصنا على بعضنا و أخوّتنا هو أفضل ضمانٍ لغدنا، غدٍ ننسى فيه الصورة المقيتة التي عمل النظام على رسمها لسوريّين علويّين في صورة وحوشٍ منفلتة، غدٍ يعودون فيه خير رفاق أيام الجامعة، و عيون ابنة الجيران الضاحكة، يعودون فيه مسرحياتٍ لسعد الله ونّوس – الرّجل الذي زرع فيّ الثورة باكراً – و رواياتٍ لسمر يزبك و أشعار لهالة محمد و رشا عمران، يعودون فيه نصّاً بديعاً لعادل محمود إذ يكتبنا:

ذات صباح استيقظت الشجرتان الجارتان، منذ خمسين عاماً، فركتا أوراق الفجر، كما يفعل النائم عند الصباح، و فيما تعدّ إحداهما ركوة القهوة، كما في كل يوم، وجدت فأساً مغروسة في المسافة الفاصلة بين الشجرتين. ذعرت الشجرة، و سقطت القهوة على الأرض، فاقتربت من جارتها ناقلةً إليها خبر الفأس كمقدمةٍ لكارثة... فحيث توجد فأس توجد شجرة على أهبة القطع ! لكن الشجرة الثانية ابتسمت، و أصدرت ذلك الحفيف بين الأوراق، علامةً على الغبطة ... وقالت حكمتها: إذا لم تعط إحدانا ذراعاً لهذه "الفأس" فهي قطعة حديد تصدأ و تطمرها الفصول!

الدولة الوطنية السورية بين استبدادين

عبد الله حنا

الدولة الوطنية السورية هي إحدى ورثاء الدولة العثمانية ، وصدى لتطور الحضارة الأوروبية الحديثة، وحصيلة لحركة النهضة العربية والنضال الوطني ضد الاستعمار.

قامت الدولة الحديثة في أوروبا نتيجة انتصار الرأسمالية الساحق على الإقطاعية. أما في مشرقنا العربي، وكان جزءا من الدولة العثمانية، فإن الدولة الحديثة بدأت تتكون في أحضان النظام الإقطاعي بشكله الجديد المتلائم مع بداية انتشار الرأسمالية الضعيفة والتابعة للرأسمال الأوروبي.

أخذت الدولة العثمانية الحديثة في التكوّن في منتصف القرن التاسع عشر مع صدور قوانين التنظيمات ذات الأبعاد البرجوازية. ولكن مفعول تلك القوانين وأصداء الحداثة بقيت محدودة الأثر في العهد العثماني لسببين: طبيعة الدولة العثمانية ذات الجذور الإقطاعية ، والمجتمع الراكن الساكن، الذي كان فقهاء السلطان يدّعون أن القوانين الوضعية مخالفة للشريعة.

ومع انهيار الدولة العثمانية سنة ١٩١٨ حدثت نقلة من خط الجامعة الإسلامية ونظام الطوائف والملل إلى خط الوطنية والقومية ، حسب المفهوم البرجوازي الأوروبي للقومية المتداخل مع المفهوم الخلدوني (نسبة إلى ابن خلدون) للعصبية. وفي الوقت نفسه لم تَخْتَفِ الإيديولوجيات السابقة وبخاصة على المستوى الثقافي الشعبي وفي الأدب الشعبي والسِيَرْ الشعبية. فقد طغت عليها الإيديولوجية الإسلاموية أو القبلية. وهذا يعني تداخل وتعايش وتصارع إيديولوجيات في مجتمع تسوده علاقات ما قبل الرأسمالية.

اتسمت الدول العربية (السورية ، اللبنانية ، الأردنية ، العراقية والمصرية) وريثة الدولة العثمانية بسمتين بارزتين :

- استمرار مفاهيم الدولة السلطانية (المملوكية والعثمانية) في نسيج الدول العربية الحديثة وخلاياها. وهذا مما أدى إلى طبع هذه الدول بسمات الدولة السلطانية المتْرَعة بطبائع الاستبداد ، التي تحدث عنها الكواكبي .

تأثر قيام الدولة العربية الحديثة تأثرا واضحا بنموذج الدولة الحديثة البورجوازية الأوربية ، أكثر من تأثره ، في المراحل الأولى ، بالتطورات الاقتصادية الاجتماعية السائرة ببطء في مجتمعاتنا العربية . وكان لرجحان كفة العامل الخارجي على العامل الداخلي أثر واضح في تطور الدولة العربية الحديثة وتشابك القوى الاجتماعية المسيِّرة لها ، وتعثر خطاها.

كان الهدف الرئيسي للانتداب الفرنسي (١٩٢٠ – ١٩٤٣) - كما هو الحال للانتداب البريطاني - تشديد قبضة الرأسمالية الفرنسية ومؤسساتها على سورية ولبنان لاستثمار خيرات هذه البلاد وفق الاسلوب الامبريالي المعروف. وهنا يكمن الوجه المظلم للانتداب بصفته أحد الوسائل الأخف وطأة للاستعمار.

ولكن كان للانتداب وجه آخر تمثل بازدياد تأثير أفكار الثورة الفرنسية وهبوب رياح الحداثة والتحديث، التي أسهمت، على الرغم من مرارة الاحتلال الاستعماري، في تحريك عملية التطور بمختلف أبعادها ودفعها إلى الأمام. وقد أتى في مقدمة عملية التطور هذه السير قدماً في بناء الدولة السورية الحديثة.

مع فجر الاستقلال أخذت مواقع الدولة السورية الحديثة المستقلة تتوطد رويداً رويداً مع الاستمرار في بناء هيكلية الدولة وفق القواعد والأسس التي خطط لها ووضعها "الفكر البرجوازي الفرنسي". فقد وضع مثقفوا الدولة السورية جملة من القوانين الحديثة المستقاة من خبرة الدولة البرجوازية في الغرب، وتحديداً فرنسا.

الجمعية التأسيسية المنتخبة في تشرين الثاني ١٩٤٩ شرعت في وضع دستور أثار مناقشات حامية، لم تكن الجماهير الشعبية بعيدة عنها، تصارعت فيها الآراء والاتجاهات الليبرالية والسلفية، وتواجهت مصالح طبقات الشعب المتناقضة وبخاصة قضية الموقف من الملكية الإقطاعية.

كما دارت في البرلمان وعلى صفحات الجرائد نقاشات حادة حول طبيعة الدولة : دولة علمانية أم دينية ، وأخيرا تمّ التوصل إلى حل وسط عبّرت عنه المادتان الأولى والثالثة من الدستور.

نصّت المادة الأولى على أن (سورية جمهورية عربية ديمقراطية نيابية ذات سيادة. وهي وحدة سياسية لا تتجزأ ولا يجوز التخلي عن جزء من أراضيها. والشعب السوري جزء من الأمة العربية).

المادة الثالثة نصت على أن (دين رئيس الجمهورية الإسلام. الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع. حرية الاعتقاد مصونة، والدولة تحترم جميع الأديان السماوية، وتكفل حرية القيام بجميع شعائرها على أن لا يخل ذلك بالنظام العام. الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية).

وفي هذه المرحلة من خمسينيات القرن العشرين اختفت الولاءات العشائرية والطائفية إلى حد بعيد ، وحلّت محلها الولاءات الوطنية والقومية. ويمكن القول أن النهضة العربية بلغت في أواخر خمسينات القرن العشرين أوج مرحلتها الثالثة باتساع دائرة الولاءات الوطنية والقومية، ورجحان كفة العقلانية، وتقلّص دائرة المحرمات.

ومن مميزات تلك الفترة: تبلور معالم البورجوازية الوطنية الصناعية ذات الاتجاه الوطني ، وصعود الفئات الوسطى (البرجوازية الصغيرة) في الريف والمدينة ، وهي تموج بالمشاعر الوطنية والقومية طامحة في إزاحة (الطبقات الأعلى منها) والحلول محلها. كما بدا واضحا انتصار مبدأ " المواطنة " والمساواة أمام القانون بين سائر فئات الشعب على اختلاف انتماءاتها المتنوعة.

والسؤال المطروح اليوم : كيف تمكنت الولاءات العشائرية والطائفية والعساكر السلطانية من إضعاف المجتمع المدني وتحجيم العلمانية وتهميش الديمقراطية ؟

ويليه السؤال الأخطر : من الذي أسهم في إضعاف الدولة الوطنية المدنية الديمقراطية ، ووضع البلاد على كف عفريت الانقسامات الطائفية والمذهبية ، ودفع البلاد إلى حافة الهاوية ؟ ..

وهنا يُطرح سؤال آخر : ما دور العسكرتاريا " ودولتها الأمنية " ذات الصبغة الطائفية في الوصول إلى الحالة الخطيرة اليوم ، التي تهدد وجود الدولة الوطنية السورية ، مع دخول السلفية الجهادية على خط المواجهة ؟ ..

لا حاجة إلى القول إن الحديث عن دور العساكر في حكم البلاد والعباد بحاجة إلى كتاب خاص لا يتسع المقام له هنا. فتراث الحكم العسكري في مشرقنا العربي تعود جذوره إلى عهد المماليك ومن ثمّ ورثتهم الإنكشارية العثمانية ، التي انتهى عزّها مع حركة الإصلاحات في الدولة العثمانية وقيام الدولة الحديثة (العثمانية) في منتصف القرن التاسع عشر.

وعندما احتدمت التناقضات داخل المجتمع بدأ بعض الضباط يتطلعون بأبصارهم للقفز إلى السلطة. وساعدهم على تحقيق طموحاتهم ضعف الطبقات الاجتماعية وتحديدا البورجوازية الوطنية الحاضنة للتطور والتنمية من جهة. وجاءت هزيمة الجيوش العربية أمام الزحف الصهيوني لاحتلال فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل وسيلة استخدمها العساكر كفزّاعة للسيطرة والاستئثار بالحكم وحجب الديمقراطية بحجة تحشيد القوى ل " تحرير فلسطين ".

ولا بد من القول إن طابع " الدولة المزرعة " للعسكرتاريا ومن يسير في ركابها، عرّقل عملية قيام دولة حديثة عصرية بأدواتها وفكرها. كما أفرغت سلطة العسكرتاريا و " دولتها الأمنية " كثيرا من أسس الحرية، التي قامت عليها الدولة الوطنية السورية. وهذا ما يدفع للتساؤل: أليست " الدولة الأمنية " بخلفيتها الطائفية مسؤولة، دون أن تدري، في كثير من الوجوه في تمهيد الطريق للإسلام السياسي المتطرف، للإعلان بإقامة دولة الخلافة الإسلامية ومحو الدولة الوطنية.

ومعروف أن فشل العسكر في التحرير أدى إلى حلول الإسلام السياسي محلّ العسكر، وهو ينادي: الإسلام هو الحل لجميع المشكلات وفي مقدمتها تحرير فلسطين. وكأن قدر العالم العربي الانتقال من استبداد العساكر إلى استبداد الأصوليات الدينية، وتذهب هباء منثورا جهود دعاة النهضة العربية والتنوير الإسلامي.

وهكذا وقعت الدولة الوطنية السورية بين ناري: استبداد العسكرتاريا وما تمثله من جشع الفئات البيروقراطية المتحالفة مع البورجوازيات الطفيلية، واستبداد الإسلام السياسي المتطرف، وطموحه في الرجوع إلى خلافة السلطان عبد الحميد، مستخدما التقنيات الحديثة المستوردة من " دار الحرب " ومدعوما بالبترودولار المتدفق من " دار الإسلام ".

ونشير هنا إلى أن الإسلام السياسي المعتدل لم يكن ضد بناء الدولة الوطنية السورية، بدليل التوافق الذي جرى بين الإسلام السياسي المعتدل ممثلا بمصطفى السباعي ومحمد مبارك والقوى الوطنية والليبرالية في صياغة دستور ١٩٥٠ ، الذي تحدثنا عنه . ودستور ١٩٥٠ كان تجسيدا لهيكلة الدولة الوطنية السورية ، التي تعرضت لهجمات العسكرتاريا، وهي تتعرض اليوم للعواصف الهوجاء للإسلام السياسي المتطرف.

لم تكن التحركات الشعبية المنطلقة من درعا في ربيع ٢٠١١ بنت يومها، بل هي حصيلة جملة عوامل داخلية وصدى للتحركات ضد أنظمة الطغيان في عدد من الأقطار العربية . ما نريد التأكيد عليه هنا هو أن التحركات الشعبية السورية المنادية بالحرية والكرامة كانت لها خلفيات اقتصادية اجتماعية موجهة ضد ممارسات البورجوازية البيروقراطية ودولتها الأمنية. وعلى الرغم من أنّ هذه الخلفيات كانت حديث الناس، إلا أنها غُيّبت بعد اندلاع التحركات لأسباب لا مجال لذكرها هنا.

ومع إمعان النظام السوري في قمع المظاهرات السلمية بالرصاص الحي، خفتت أصوات المطالبين بالحرية والكرامة، وتقلصت أعداد المنادين بأن الشعب السوري واحد، وأخذت تجتاح البلاد عاصفتان صحراويتان:

- عاصفة المتزمتين الإسلاميين، التي تنهل من التراث المملوكي العثماني وتكفيريات ابن تيمية و أطروحات سيد قطب.
- عاصفة الحشد الطائفي (العلوي) الذي سعّرته بعض قوى السلطة لحماية ثرواتها وما سرقته من أموال الشعب. وهذه القوى الرأسمالية البيروقراطية والطفيلية تُخيف الطائفة العلوية زاعمة أن " وجودها " مهدد بالخطر إذا لم تمتشق السلاح وتسير وراء الحكام.

هذه الأوضاع الداخلية المضطربة زادها استعارا، ضخّ البترودولار (الخليجي والإيراني)، والسياسات الإقليمية والدولية، مما أدى إلى وضع الدولة الوطنية السورية ومصيرها في مهب الرياح.

وهذا ما شجّع قوى الإسلام السياسي المتطرف لإعلان دولة " الخلافة الإسلامية " وعدم اعتراف هذه القوى بالدولة الوطنية السورية. وأوغلت القوى السلفية المتزمتة والمتحجرة في نهجها المرعب بمنع رفع علم الاستقلال ذي النجوم الثلاث الحمراء.

وعلم الاستقلال هذا أبدعته الجمعية التأسيسية السورية لعام ١٩٢٨ ، وأصبح علم الجمهورية السورية، إلى إن ألغته دولة العسكرتاريا. ولهذا أعاد ثوار التحركات الشعبية علم الاستقلال تيمنا بالمستقبل الزاهر. واليوم وبعد أن انزلقت التحركات الشعبية نحو العسكرة واختلط حابلها بنابلها، يأتي مسلحوا الإسلام السياسي المتطرف، وكثير منهم أشتات جاءت من أصقاع الأرض، يعتدون على علم الاستقلال وهدفهم محو تاريخ سورية الوطني منذ قيام الدولة الوطنية العربية السورية، التي أعلن المؤتمر السوري في الثامن من آذار عام ١٩٢٠ استقلالها.

الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥-١٩٢٧)، التي لم تنتصر عسكريا، ولكنها حققت نصراً للحركة الوطنية في ميادين شتى ومنها المساومة والمصالحة، التي جرت بين سلطات الانتداب الفرنسي والبورجوازية السورية ممثلة في الكتلة الوطنية، تمّت على أثرها انتخابات جمعية تأسيسية وضعت دستور ١٩٢٨ ، وهو القلب النابض للجمهورية الوطنية السورية. وهذه الجمعية أبدعت العلم السوري ذي الألوان الثلاثة والنجوم الحمراء الثلاثة، الذي رفعه ثوار التحركات الشعبية في وجه العسكرتاريا وعلمها ذي النجمتين.

واليوم تدوس المنظمات المسلحة لسلفية عهد الاجتياح البترودولاري بالأقدام علم الاستقلال وتعلن " الجهاد " للخلاص من روح الجمهورية الوطنية السورية ممثلة بدستور ١٩٥٠ . وأصبح واضحا دعاة الاستبداد السلطاني العثماني " يجاهدون " لدفن الدولة الوطنية السورية ، التي حملت بين جنابتها معالم العصرنة والحداثة والطموح إلى مستقبل عربي مشرق. هذه الدولة، التي تبنّت الجوانب المشرقة النيّرة والعقلانية من تراثنا العربي الإسلامي تسعى قوى " التسلط " و"الرجعة " إلى دفنها في الرمال.

هذه الدولة الوطنية المدنية الديمقراطي السورية تعرضت وتتعرض لنيران استبدادي القوتين المتصارعتين: المباحث السلطانية ودولتها الأمنية والسلفية الجهادية الرافضة للوطن والسابحة في سماء الخيال. وكلا الطرفين ينهلان من معين الدولة السلطانية (السلجوقية والمملوكية والعثمانية).

فهل ستصمد الدولة الوطنية السورية أمام الرياح العاتية ؟

قارة... عروس القلمون

بقلم : شهد الشامي

قارة تلك المدينة المتربعة في جبال القلمون الشامخة على الطريق الرئيسي الذي يصل مدينتي دمشق وحمص في منطقة استراتيجية الموقع لقربها من الحدود اللبنانية.

تعرضت هذه المدينة الثائرة في شهر تشرين الثاني لعام ٢٠١٣ لحملة عنيفة من قبل عصابات الأسد وميليشيا حزب الله نظراً لأهمية المدينة بالنسبة فهي أساسية لتأمين طريق حمص دمشق وإبقائها مفتوحة فضلاً عن وقوعها على طريق سريع يربط العاصمة دمشق بمعاقل للحكومة على طول الساحل.

كما تقع في المنطقة مستودعات أسلحة ومراكز ألوية وكتائب عسكرية عديدة للجيش السوري الذي بدوره يعمد على إبقائها بعيدة عن أيدي الثوار خشية منه أن يتكرر ما حصل في مستودعات مهين.

استمرت الحملة الهمجية على المدينة لعدة أيام تحت غطاء عنيف من القصف المدفعي والصاروخي وغارات جوية بالمقاتلات الحربية **كما قصفت المدينة بأكثر من ١٠ صواريخ ارض أرض اغلب الظن أنها من نوع لونا أحدثت دمارا هائلا في المباني وأدت لوقوع شهيدين من القلمون وعائلة** كاملة **من القصير**.

ونتيجة للحملة نزحت آلاف العائلات السورية إلى لبنان عبر بلدة عرسال اللبنانية الحدودية مع سوريا في ظل أوضاع إنسانية ومعيشية صعبة في المدينة التي تتعرض للقصف المتواصل الذي أدى لارتقاء عشرات الشهداء والجرحى من المدنيين ودمار هائل في منازل ومساجد المدينة .

في يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٠١٣\١١\١٩ صرح إعلام النظام الأسدي بفرض سيطرته على المدينة مخلفاً دمار هائل وحالة إنسانية مزرية .

ورداً على إعلام النظام صرح المركز الإعلامي في القلمون البيان التالي :

بعد خمسة أيام من القصف العنيف بكل أنواع الأسلحة وبعد أكثر من عشرين شهيد نقول لكم سقطت قارة لكن لم يسقط القلمون فالمعارك كر وفر والحرب سجال وما حدث بقارة ما هو إلا أمر لأيقاظ النفوس وخاصة الثوار انه الخيانة موجودة بينكم فتنبهوا نعم استطاعت قنوات النظام دخول أول قارة نعم أول قارة فقط وظهرت وتبجحت سقوط قارة وكي لا ننسى إن هذا الصنيع حصل من قبل في مدينة داريا ادخل النظام قنواته اظهر للعيان استرجاع المنطقة وثاني يوم تكون المفاجأة أن الأرض ما زلت تحت سيطرة الثوار إن المعركة وان خسر الثوار جولة فهناك جولات رابحه انظروا لداريا ولبرزه والمعضمية سنة وهي صامدة تحت سيطرة الثوار وإننا ننتظر من ثوارنا ما يقسم ظهر النظام ويظهر كذبه ونفاقه وبالانتقال للمدن الأخرى القلمون اليوم شهد معظم مدن وبلداته للقصف المدفعي والصاروخي العنيف وهي يبرود و النبك وجرد تلفيتا وتلفيتا و رنكوس ومزراع رنكوس و جراجير هذه المنطقة المغيبة عن الإعلام كما شهدت مدن القلمون غارات جوية خاصة على مدينة يبرود و منطقة عرسال وبعد النداءات التي أرسلت لأهالي صيدنايا للتدخل لإخراج العتاد العسكري من دير الشيروبيم قام الثوار بضرب العتاد العسكري وتدمير دبابة وسيارة مليئة بذخيرة بالإضافة لتدمير دبابة من طراز T72على الأوتوستراد الدولي.

بين هذا وذاك تطفو على الوسط مؤشرات معركة القلمون ،معركة يحشد لها النظام بشكل شبه كامل ميلشيات من حزب الله، كما نشرت جريدة الوطن السعودية تسريبات تفيد بأن النظام يعتمد على خطة تهجير لسكان منطقة القلمون وإحلال بديل عنها من منطلق طائفي كمثال مشابه لـ بابا عمر والقصير في حمص .

وتبقى هذه المعركة في طي المجهول يتأمل السوريين أن تنتهي بنصر للثوار وتغيير لميزان القوى لصالح الثورة السورية .

إيديولوجيا الحرب وفلسفة السلام

الأب جورج حبيقة

إن أقسى ما يواجهه الإنسانُ لدى وعيه لذاته، كائنًا قائمًا في وجود غريب لم يَخْتَرْه وفي حياة لم يكن هو في أصل انطلاقتها بل وصلت إليه عبر الآخر، هو كيفية اللقاء مع الذات ومع الآخرين، ومعايشة كمٍّ هائل من الألغاز والأسرار يطفح بها الوجود في كلّ طياته، وكيفية معالجة القلق والخوف وإرساء قواعد سلامية تؤمِّن ديمومة التلاقي خارج دائرة الصراع والتناحر ومنطق المحاذرة من الآخر حِفاظًا على الذات.

مَن في إمكانه أن يُفلت من وطأة هذه الأسئلة؟ إننا لا نغالي البتة إن ذهبنا في تحليلنا إلى التأكيد على أن قضية الإنسان الكبرى تُختصَر، مع تشعباتها وتعقيداتها، في مسألة واحدة: السلام – السلام مع الذات والسلام مع الآخرين – كشرط أساسي للحصول على نوع من السعادة النسبية، ضالّة الإنسان الأساسية. وهكذا نرى الإنسان يفتش عن الطمأنينة في القلق، وعن السلام في الحرب، وعن السعادة في الآلام والأحزان. هذا الإنسان، الذي هو الكائن المفتش أبدًا عن حقائق هاربة، يظهر كأن طبيعته مفطورة على النمو والتطور داخل معادلة التناقض والتعارض.

يُرجِع العديد من المفكرين والفلاسفة ظاهرة العنف والصراع في حياة الإنسان إلى جوهر طبيعته التي تتحكم فيها نواميس المحدودية. وبسبب النقص والخلل اللذين يقوم عليهما الوجود الحسّي يتحول الزمن إلى تاريخ، أي إلى مجموعة أحداث يجمع بينها، معظم الأحيان، الطابعُ المأسوي. من هنا القول الذي أصبح مأثورًا: "إن الشعوب السعيدة لا تاريخ لها." ذلك أن الإنسان السعيد يرتمي عادةً في أحضان الأحداث المفرحة وينساب في تغضُّناتها، كأنه أُعتِقَ من أغلال الزمان والمكان، وَوَلَجَ في مساحات الأبد التي تردع التاريخ عن التسلل إليها والإقامة فيها. ونسأل هنا بحق: هل هناك شعوب لم تدوِّن لنفسها أحداثًا تاريخية؟ قطعًا لا. إذن، ليست هناك شعوب سعيدة. هذه الحقيقة دفعت جان بول في كتابه إعلان الحرب على الحرب في العام ١٨٠٩ إلى القول: "حتى الآن، إنها الحرب التي ملأت فصول كتب التاريخ. السلام لم يُضِف هنا وهناك إلا بعض الهوامش."

وتأتي في هذا الإطار إحصاءاتُ علماء الحرب لتثبت، بالأرقام، المساحة الشاسعة التي تحتلها الصراعات الدموية بين الشعوب كافة. فعلى مدى ثلاثة آلاف سنة، أمكن إحصاء زهاء مئتين وإحدى وسبعين سنة سلام كانت تحضيرًا لشنّ حروب أو لردعها. وهكذا، يبدو العنف ليس فقط كلصيق بمكوِّنات الوجود، بل أيضًا – وبخاصة – كمحرِّك لها طبقًا لهدفية يصعب على الغائص في خضمّ الأحداث أن يستقرئ مدلولاتها.

مع المفكر إرَسْموس في القرن السادس عشر، ظهر تشديد قويٌّ على ضرورة التجديد المستدام وحتميته، لكن خارج دوامة العنف ومن داخل المؤسَّسات والمنظَّمات، ضمن حركة تطويرية هادئة وهادفة. ففي موضوع الحرية، تحت عنوان مستقى من قصيدة الشاعر اليوناني بنداروس الحرب طيبة للذين لم يخوضوها (١٥١٥)، يقول إرَسْموس:

إن كان هناك أمر بين شؤون البشر يَحسُن بنا أن نُقبِل عليه بتردد، أو بالأحرى أن نتفاداه ونطرده بصلواتنا ونُبعِده بكلّ الوسائل، فإنه بالتأكيد الحرب. ويتابع مفكر روتردام، في مقالة أخرى تحمل عنوانًا أعمق حزنًا وأشد كآبة، رثاء السلام (١٥١٧): الحرب آفة الدول ومقبرة العدالة. في قرقعة السلاح تصمت الشرائع ،فإذا كان الكفر ونسيان الدين يكمنان وراء المآسي فهذان الشرَّان يبلغان أقصى حدودهما في عنف الحرب.

وفي مقارنته بين ويلات الحرب وخيرات السلم يبيِّن إرَسْموس الأمور الآتية: علينا أن نقضي على أسباب الحرب في مهدها. ومن أجل ذلك ينبغي لنا أن نغضَّ الطرف عن بعض الحقوق. فهناك حالات تفرض علينا واجب شراء السلام. وعندما نقوم بعملية إحصائية لتكاليف الحرب ولعدد المواطنين الذين سينجون من الموت، يبدو السلام كأنه اشتُرِيَ بسعر زهيد، مهما كان ثمنه. وعندما نفكر، بعد ذلك، في الأوجاع التي تفادياها والممتلكات التي أنقذناها، لن نتأسف كثيرًا على ثمن السلام الذي نكون قد دفعناه.

إن الدولة التي ترعى تنظيمًا داخليًا غير عادل ستسعى حتمًا إلى نهب جيرانها، بغية تأمين نوع من الانفراج لمواطنيها المقهورين، والوصول إلى موارد جديدة .

نرى مما تقدم أن هناك فكرتين تحوِّمان على أحلام البشرية الجادة في التفتيش الدؤوب عن سعادتها: اشمئزاز من المسار الذي تأخذه أحداث العالم؛ وسعي إلى تجاوز الذات إلى حال أفضل – وفي تعبير آخر، حلم بمجتمع كامل وحلم بسلام دائم بين الشعوب. هذا مبدأ الرجاء في الفكر السياسي الطوباوي. إن هذا النوع من الفكر يتدفق، متموِّجًا متقطِّعًا، في أوقات يسيطر عليها نوع من الهدوء النسبي. فتاريخ اليوتوبيا، وإنْ أظهر بعضًا من الثوابت، يتجلّى في محطات يجمع بينها التميُّز، لأنه ينطلق من فرادة الواقع الاجتماعي السياسي الثقافي المعاش. ومن حسنات هذه الفواصل أنها تفسح المجال أمام كلّ مجتمع لكي ينسج أحلامه وتطلعاته على نحو يسيطر عليه نوعٌ من حرية الاستنباط والحبك التنظيري، من دون الخضوع لقوالب جاهزة لتعليب الفكر قبل انبثاقه.

أن أغلبية المساهمات في موضوع السلام تولد من رحم الأوجاع والأحزان وتتميز، بالتالي، بالتواصلية. فكلُّ مشروع يستند إلى ما سبقه من مقاربات، ويضيف إليها رؤى جديدة. من هنا تأثُّر روسو بالأب دو سان بيار، وكانط بالاثنين معًا، وتأثُّر الرئيس ولسون، أحد صانعي عصبة الأمم، بكتابات كانط.

ما فتئ البعض ينظر إلى مبدأ التعارض كمحرِّك أساسي لأحداث التاريخ ومقوِّمات الحياة. خارج الصراع، وحتى الدموي منه، لا حياة ولا تطور. وفق هذه النظرة، يُعتبَر الآخر، المختلف عرقيًّا وثقافيًّا ودينيًّا وسياسيًّا، خطرًا على وحدة المجتمع وتماسكه، وحدًّا لنمو الأنا المختلفة. من هنا العمل على تذويب هذا الآخر في بوتقة الأحادية إذا أمكن، أو السعي إلى تهميشه ثم إلغائه. إن مبدأ الصراع هذا، حوَّل الزمن البشري إلى تاريخ مأسوي، تتوالد فيه المصائبُ بعضها من بعض في حلقة العنف المفرغة.

في مواجهة إيديولوجيا الحرب التي ترى النور وتنمو أبدًا في أحضان العبثية، يظهر تيارٌ روحي وفلسفي يقوم على السلامية التي تشق طريقها إلى الضمائر والعقول على إيقاع الزمن الآتي – زمن الخلاص للإنسان المتعثِّر في غربة وجوده. هذا التيار يدعو إلى العبور من مبدأ التعارض والتصارع إلى مبدأ التكامل التنافسي الخيِّر الذي يُرسي مقوِّماتٍ مختلفة لِلِقاء البشر بعضهم ببعض في حضارة المحبة. لم يعد الآخر المختلف خطرًا على ذاتي وكياني، بل بتُّ أنظر إليه كخلية حية وعضو فاعل في جسم البشرية الواحد الموحَّد، حيث تقوم الحياة على التكامل الوظائفي في تآلف الاختلاف. فعلى شاكلة وحدة أعضاء الجسد المتنوعة، لا يستقيم التفاعل الحياتي والتباعدية إلا في التعددية.

إن وحدة الشكل سلام الأموات وموكب جنازة الفكر؛ وتناسق التلاقي التعددي سلام الأحياء في كنف إنسانية متجددة ومتصالحة أبدًا مع نفسها في الغيرية المتآلفة.

الشهيد عبد القادر الصالح

مسعود عكو

عبد القادر الصالح هو أحد شباب الريف الحلبي من بلدة اسمها مارع. عمره ٣٣ عام، له زوجة وخمسة أولاد. عمله الأساسي تجارة الحبوب والمواد الغذائية، وبالإضافة لذلك، كان يعمل في الدعوة إلى الإسلام في سوريا، الأردن، تركيا وبنغلادش وذلك بعد أن أمضى خدمته العسكرية في وحدة الأسلحة الكيميائية في الجيش العربي السوري. كان من أول المنظمين للنشاط السلمي والمظاهرات في مارع وحينها أطلق عليه اسم "حجي مارع".

انتقل إلى العمل المسلح بعد بداية الثورة بشهور. اختير ليكون قائد الكتيبة المحلية في بلدة مارع، ثم اختير ليقود مجموعة من الكتائب العسكرية للقتال في الريف الشمالي لحلب تحت اسم "لواء التوحيد "، يتمثل دور الصالح في هذا اللواء بقيادة العمليات العسكرية فقط أما قائد اللواء فهو عبد العزيز سلامة.

يحصل الصالح على التمويل من التبرعات التي تأتيه من داخل وخارج سوريا والغنائم التي يستولي عليها من معاركه مع النظام السوري. يتمتع عبد القادر الصالح بالكاريزما العالية، فبالرغم من نحول جسده لديه حضور قوي ووجه قريب إلى القلب.

شعبيته عالية بشكل عام في كل مدينة ومحافظة حلب ، إلا أنه وفي بداية الثورة كانت هناك بعض التحفظات من أهل مدينة حلب على دخول لواء التوحيد للمدينة خوفاً من رد النظام السوري القوي وأثره عليها.

علاقة الصالح بالدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) متوترة. أما بالنسبة لعلاقته مع النصرة فذكر الصالح بأن علاقته معهم جيدة، وأنه بالرغم من الاختلاف في الأفكار معهم فهو مجرد اختلاف وليس خلاف.

الصالح قائد إسلامي ولا يطمح بأي دور قيادي في المستقبل حسبما يقول، إلا أنه يرى دوراً للواء التوحيد في مستقبل سوريا. الصالح يريد أن يرى سوريا دولة إسلامية، ولكنه قال: "إن هذه الدولة لن تفرض أبدا بقوة السلاح".

يرى الصالح بأنه ليس هناك أي مانع من تجنيد أشخاصٍ ليسوا سوريين في اللواء، ولكن بحسب ما ذكر لا يوجد في اللواء أي شخص غير سوري إلى الآن. الصالح ابن البلد البسيط، ويتعامل دائماً بهذه العقلية، التي كانت مأخذاً عليه كما يرى بعض الناس وخصوصاً بالخلافات الأخيرة التي حدثت بين اللواء وداعش.

في كل المعارك ترى الصالح في الصفوف الأمامية، حتى في المعارك الأخيرة "اللواء ٨٠ في حلب"، كان متواجداً مع عناصره طيلة الوقت، وقبل ذلك في معركة القصير عندما امتنعت معظم الكتائب عن المؤازرة. تعرض الصالح إلى أكثر من حادثة اغتيال، كما ان النظام السوري وضع مكافأة مالية وقدرها ٢٠٠ ألف دولار لمن يعتقله أو يقتله.

عائلة الصالح بقيت في مارع إلى فترة قريبة، حتى أنه في أحد زياراته إلى المدينة قد قام بحفر قبر له هناك وأوصى بأن يدفن فيه.

استشهد القائد عبد القادر في ١٧-١١-٢٠١٣ في أحد مستشفيات غازي عينتاب بتركيا بعد تعرضه لجروح جراء غارة استهدفته مع قادة آخرين أثناء تواجدهم في مدرسة المشاة في حلب.

تمجيد الحرب

للفنان الروسي فاسيلي فيرتشاغين، ١٨٧١

من المؤكّد أن هذه اللوحة ليست مما يسرّ النفس أو يبهج الخاطر. ومع ذلك فهي مشهورة ومألوفة كثيرا. وخلافا لما قد يوحي به العنوان، فإن اللوحة تعتبر صرخة مدوّية بوجه الحرب وإدانة قويّة وبليغة للطبيعة المتوحّشة للحروب وما تجلبه على الإنسانية من ويلات وكوارث.

وجانب من أهميّة اللوحة يتمثّل في أن من رسمها كان جنديا شارك في العديد من المعارك والعمليات العسكرية وشاهَدَ عيانا مآسي الحروب وويلاتها أثناء خدمته في جيش بلاده.

اشتهر فيرتشاغين برسوماته الحربية والعسكرية. وقد كان جنديا لكنه كان بنفس الوقت رسّاما قويّ الملاحظة ومثقفا ذا نزعة إنسانية واضحة.

في اللوحة نرى هرَما من جماجم البشر الذين قتلوا في الحرب. وفي الخلفية أطلال بلدة مدمّرة وبقايا أشجار محترقة أو متفحّمة. وفوق الجماجم المكدّسة وفي ما بينها تتجوّل مجموعة من الغربان والجوارح الجائعة التي تبحث في بقايا العظام عما تسدّ به رمقها.

المشهد صادم وقاس ولا شكّ. لكنه يفتن بجماله المخيف إذا تمعنّا في معناه ومدلوله الفلسفي والأخلاقي.

وقد حرص الرسّام على أن يذيّل اللوحة بعبارة تقول: مهداة إلى جميع الغزاة في الحاضر والماضي وإلى أولئك الذين سيأتون في المستقبل".

كان فيرتشاغين يتبنّى على الدوام موقفا معاديا للحرب. كما كان دائم الانتقاد للساسة وللقادة العسكريين الذين يتحمّلون المسئولية الأخلاقية عن موت الأبرياء من البشر بلا قضيّة أو مبرّر.

وكان الفنّان صريحا جدّا وهو يرسم. فالأبطال الذين يظهرون في لوحاته العنيفة هم من الجنود الروس بملامحهم وأزيائهم وأسلحتهم. وهذا أوقعه في مشاكل كثيرة. إذ اعتبرت لوحاته إدانة صريحة وواضحة للحروب التي كانت تشنّها روسيا. وقد اتهم فيرتشاغين في بعض المرّات من قبل العسكر وقادة الجيش انه بلوحاته لا يخدم سوى الأعداء بتعمّده تشويه صورة الجيش داخل البلاد وخارجها.

بل لقد حظرت الدولة القيصرية جميع رسوماته ومنعتها من النشر أو العرض، حتى بعد أن ذاع اسمه واشتهر خارج روسيا.

كانت الحروب وما تزال موضوعا رائجا في الفنّ والأدب. فالأوّل يقدّم توصيفا شفهيا لها، بينما الثاني يعرض صورة الحرب بطريقة صادمة وأحيانا جذّابة. وفي العصر الحاضر، راجت الكثير من الأعمال الأدبية والفنية والسينمائية التي تتحدّث عن "جماليات الحرب" بشكل يتلاعب بالمشاعر ويدغدغ الغرائز. وقد وجدت هذه الأعمال وما تزال الكثير من الشعبية والجاذبية في الكثير من الأوساط. ويفسر البعض إقبال قطاعات معيّنة من الناس عليها بأن دافعه المحافظة على الذات أو التعويض عن ميول عدوانية مكبوتة أو انه محاولة لتعزيز قدرة الفرد على البقاء والتحمّل في أوضاع الصراع. غير أن المال يعتبر عاملا مهمّا. فهناك ساسة وعسكر ومنتجون سينمائيون يتكسّبون من وراء الترويج للقتل وسفك الدماء وتقديم الحرب في قالب مثير ولا يخلو من رومانسية.

رسم فيرتشاغين هذه اللوحة أثناء مشاركته في الحرب الروسية على تركستان وحصار سمرقند في العام ١٨٧٦م. ومن المرجّح انه استوحى فكرتها من سيرة حياة القائد المغولي تيمورلنك الذي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد شاع عن ذلك القائد انه كان في غزواته الكثيرة لا يغادر قرية أو مدينة مرّ عليها جنده دون أن يشيّد فيها هرَما من جماجم البشر الذين كان يقتلهم في حروبه. غير أن دلالة اللوحة تمتدّ إلى ما هو ابعد من سياقها التاريخي. حيث أصبحت مع الأيام رمزا لكلّ الحروب التي لا تخلف سوى الموت والخراب. واللوحة تذكّرنا بلوحات أخرى مماثلة لا تقلّ شهرة مثل معركة انغياري لـ ليوناردو دافنشي والثالث من مايو لـ فرانشيسكو دي غويا ووجه الحرب لـ سلفادور دالي وغورنيكا لـ بابلو بيكاسو. كما يثير شكل اللوحة بعض المقاربات المعاصرة لعلّ أشهرها المذابح التي ارتكبها بول بوت والخمير الحمر في كمبوديا.

بالإضافة إلى لوحاته عن الحرب، عُني فيرتشاغين بتصوير جور النظام الإقطاعي وجنايته على الفقراء والطبقات المعدمة. كما رسم لوحات أخرى تصوّر طبيعة آسيا الصغرى وتتضمّن مناظر لسهول ومروج وجبال عالية تكلّل قممها الثلوج.

وفي بعض الأوقات دفعه حبّ الاستكشاف للذهاب إلى الهمالايا والهند والتيبت وسوريا وفلسطين. كما زار ميونيخ وباريس التي درس فيها لبعض الوقت على يد ليون جيروم.

وهناك من يقول إن سلسلة لوحاته التي رسمها عن حملة نابليون على روسيا هي التي ألهمت الروائي الكبير ليو تولستوي كتابة روايته المشهورة "الحرب والسلام".

في خريف العام ١٩٠٤ تلقى فيرتشاغين دعوة من احد أصدقائه القدامى الذي كان يعمل ربّانا لإحدى البوارج الروسية خلال الحرب الروسية اليابانية. وأثناء إبحار البارجة في البحر الأصفر اصطدمت بلغم أدّى إلى غرقها وغرق معظم من كانوا على متنها، بمن فيهم فيرتشاغين وصديقه.

أطلع يا غريب البيت لأهل البيت

مـو قالوا .. جديد الوطن راح يـصير
قـبل وين الوضع عن الوضع هسـا

قـــــبل خنساء وحدة كلهم يعزون
هـــسا بكل زقاق وكل فرع خنسا

قبـــل مانسي ميت لو تـــمر سنين
وهسـا الصبح ندفن والعصر ننسا

أشوف الناس تحرس لا وطنها يضيع
وليش احنا الوطن مانعرف نحرسه؟

هســـــا الدنيا خربت والوطن مـنهوب
يفـــــرغ بير حزنا وبإيدنا نتر سه

وتاهت والوضع ماتدري صار شلون
الشرطي والحرامـــــي تشابه بلبسه

قبل كانت الغيرة تعلي بينا الصـــوت
اشـــوف حتي ابو الغيرة ماطلع حسه

قبل كان الأمان يطوف علي لبـــيوت
وهســـــا البشر قام يخاف من نفسه

شوف الناس تحرس لا وطنها يضيع
ليش احنـــا الوطن مانقدر نحرسه؟

هـــسا الدنيا خربت والوطن منهوب
يفرغ بير حزنـــــــه ونرجع نترسه

وطن للشمس بيت تنام بيه نـــــجوم
غيوم الديـــــنا كلها ما تطم شمسه

وطـــن للشمس بيت تـــنام بيه نجوم
غـــيوم الدنيا كلها ما تطم شمسه

يرجع شي اكيد ويرد بينا الحـــيل
وتـــتعالي الأصوات وما تظل خرسة

أطلع يا غريب البيت لأهل الـــبيت
طـــــاهر ما نريد اقدامك تنجسه

Designed by b-syriafree

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر